مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 20 عدد: 01 سبتمبر 2024
العنوان: إشكاليات أخلاقية حول تقنيات الاستنساخ البشري ص.ص. 77- 91

إشكاليات أخلاقية حول تقنيات الاستنساخ البشري

عبد القادر سنوسي محمد[1]، زاوش يمينة[2]
1- جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر
senouci.medabdelkader@univ-mascara.dz
2- جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر
Ezzaouche.yamina@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2024/02/15؛ تاريخ القبول: 2024/06/07

Ethical issues around human cloning techniques

A. Abdelkader Senouci Mohamed, B. Ezzaouche Yamina

Abstract:

Cloning has developed remarkably in the last century to become a science in its own right. This development has prompted some scientists to demand the application of its techniques to humans, promising radical solutions to some of human economic and medical problems, while at the same time ignoring problems that may afflict our moral system, and may even threaten our existence on the planet. Which led us to analyze the ethical problems caused by human cloning techniques, such as the problem of safety, that is, the extent to which these technologies are safe for public health, the problem of identity and psychological disorders, and some social problems represented by the impact of human cloning on family and social relationships and ties.

Keywords: human cloning ; ethical issues ; Biotechnologies; Cloning risks; troubled identity.

الملخص:

تطور الاستنساخ في القرن الماضي بشكل لافت ليصبح علما قائما بذاته هذا التطور دفع بعض العلماء للمطالبة بتطبيق تقنياته على البشر مبشرين بحلول جذرية لبعض مشاكل الإنسان الاقتصادية والطبية ومتجاهلين في نفس الوقت مشكلات قد تعصف بمنظومتنا الأخلاقية بل قد تهدد وجودنا على ظهر الكوكب، الأمر الذي دفعنا إلى تحليل الإشكاليات الأخلاقية التي تسببها تقنيات الاستنساخ البشري، مثل إشكالية الأمان، أي مدى سلامة هذه التقنيات على الصحة العامة وإشكالية الهوية والاضطرابات النفسية، وبعض الإشكاليات الاجتماعية المتمثلة في تأثير الاستنساخ البشري على العلاقات والروابط الأسرية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الاستنساخ البشري؛ الإشكاليات الأخلاقية؛ التقنيات الحيوية؛ مخاطر الاستنساخ؛ الهوية المضطربة.

مقدمة:

عرفت البيولوجيا وتطبيقاتها الطبية تطورا رهيبا في الفترة المعاصرة وحقق المنهج التجريبي فيها نجاحا لم يكن العقل البشري يتوقع الوصول إليه، فمنذ إعادة اكتشاف قوانين مندل و دخول علم الوراثة الحديث إلى مجال الطب ابتكر الإنسان طرق علاجية جديدة تمثلت في الإخصاب الصناعي والرحم المستأجر وزرع الأعضاء...إلخ، هذه الثورة في مجال البيولوجيا وتطبيقاتها الطبية بلغت ذروتها مع ميلاد الهندسة الوراثية التي مكنت الإنسان من تغيير الصفات الوراثية للكائنات الحية لأهداف مختلفة، من خلال التلاعب بجيناتها واستبدال جين بآخر، و وصل بنا التقدم العلمي في هذا المجال إلى الحديث عن إمكانية استنساخ إنسان من إنسان آخر، مما جعلنا

على أبواب الإطاحة بكل القيم الإنسانية والأخلاقية التي تعارف عليها البشر منذ الأزل.

لقد أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من ذلك المجتمع الذي قد نرى فيه نسخا مطابقة لنا وراثيا، هذه ليست أحلاما فالاستنساخ البشري بات كابوسا يؤرق كل من يحمل في جوفه نسبة من الوعي والمسؤولية، فرضية تستدعي من العَالم وقفة تأمل فلسفي صادقة ورأيا حازما مبني على تحليل فلسفي عميق للمسألة الوراثية، لكن كيف تعالج المباحث الفلسفية مشكلات هي من صميم البحث البيولوجي الوراثي؟
للإجابة على هذه الاشكالية سنعتمد على المنهج التحليلي للكشف عن جملة الأضرار النفسية والجسدية والاجتماعية التي قد تسببها لنا تقنيات الاستنساخ البشري، وما مدى انتهاكها لنظامنا الأخلاقي المتعارف عليه.
الفرضيات التي سننطلق منها هي: الاستنساخ البشري يسبب أضرارا نفسية وجسدية واجتماعية وخيمة تتعارض مع نظامنا الأخلاقي المتعارف عليه، هذه الفرضية سنحاول من خلالها تبيين الإشكاليات الأخلاقية المحتملة لتقنيات الاستنساخ البشري.
الاستنساخ البشري لا يسبب أي ضرر وكل تقنياته في صالح البشرية، في هذه الفرضية سنحاول دراسة موقف أنصار الاستنساخ البشري، لنتبين إن كانت تقنياته آمنة بالفعل وصالحة للتطبيق على البشر بدون أي انعكاسات سلبية.
يمكن للفلسفة أن تعالج مشكلات من صميم البحث البيولوجي الوراثي عن طريق طرح الاشكاليات الأخلاقية التي تسببها تقنيات هذا البحث هذه الفرضية نهدف من خلالها للتحقق من مدى قدرة البيواتيقا على معالجة الإشكاليات الأخلاقية الناتجة عن تطور البيولوجيا وتطبيقاتها الطبية، وترشيد البحث العلمي في هذا المجال.
لدراسة و تحليل هذه الفرضيات والإشكالية المطروحة اعتمدنا الخطة التالية:
مقدمة، تعريف الاستنساخ لغويا وعلميا للوقوف على مفهوم هذا المنجز العلمي الحديث والتعرف على ماهيته، ثم الحديث عن السياق التاريخي للاستنساخ البشري للوقوف على أهم العوامل التي أدت إلى

التفكير في نسخ البشر، والمبحث الأخير هو عبارة عن بحث في أبرز الإشكاليات الأخلاقية التي يثيرها الاستنساخ البشري، مثل خطورته على الصحة العامة، الجسدية والنفسية، وتهديده للروابط الأسرية والاجتماعية، ثم خاتمة تحتوي على أهم النتائج التي توصلنا إليها والإجابة على الإشكالية المطروحة، بالإضافة إلى قائمة للمصادر والمراجع المستعملة في البحث.

تعريف الاستنساخ:

التعريف اللغوي:

كلمة استنساخ هي ترجمة للكلمة الإنجليزية cloning, وورد في قاموس أوكسفورد المحيط أن "الاسم clone يعني نسيلة وهي نبتة أو كائن حي ينتج عن كائن آخر بدون العملية الجنسية." (محمد بدوي، 2003م، ص 199) نفهم من هذا أن الاستنساخ عملية يتم من خلالها تخليق كائنات حية نباتية و حيوانية بطرق تختلف عن الطريقة الطبيعية.

تعود أصول هذه الكلمة إلى اللغة اليونانية، فهي مشتقة من الكلمة اليونانية klon, والمقصود بها البراعم والغصون والفروع النباتية الصغيرة. (هنري أتلان و آخرون، 2016م، ص 11)

نلاحظ أن الكلمة اليونانية القديمة كانت تستعمل للدلالة على النباتات لأن الاستنساخ كممارسة كان يقتصر على عمل البستاني، وكان يتمثل في مجموعة من الطرق الزراعية الهدف منها زيادة معدل تكاثر النباتات.

التعريف العلمي:

من الناحية العلمية هو فرع من فروع الهندسة الوراثية، ويُعرَّف على أنه "شكل من أشكال التوالد الخلوي الذي يتم بانقسام الخلية الأنثى أو البويضة بعد أن تتضاعف صبغياتها، ولكن دون تلقيح من الخلية الذكر أو النطفة كما يحدث في التوالد الجنسي الطبيعي." (مجموعة مؤلفين، 2013م، ص 552 553)

تتم هذه العملية عن طريق تقنية تسمى تقنية نقل النواة، حيث يعمل البيولوجي على استئصال نواة من خلية جسمية و وضعها في بويضة مفرغة، أي خالية من النواة، و الهدف هو توليد كائنات حية متطابقة وراثيا فيما بينها. (هنري أتلان و آخرون، 2016م، ص 18)

تشير بعض الدراسات إلى أن هذه التقنية هي التي استُعملت في استنساخ النعجة الشهيرة دولي، وهي نفس التقنية التي يحاول بعض علماء البيولوجيا استعمالها لاستنساخ الإنسان.

لا تستعمل تقنيات الاستنساخ لتخليق كائن حي كامل فقط، بل لها عدة استعمالات أبرزها تخليق الخلايا، حيث يتم استنساخ مستعمرات من الخلايا المتطابقة وراثيا من خلية جنينية واحدة، تتلخص الفكرة في استئصال خلية واحدة من جنين معين و استعمالها لاستنساخ سلالات من الخلايا و الأنسجة تحتوي على نفس الخصائص الوراثية للخلية الأم لكن لا يوجد مجال في هذه العملية لإكمال النمو والوصول إلى استنساخ كائن حي كامل. (هنري أتلان و آخرون، 2016م، ص 18)

ويتم استعمال الاستنساخ لتخليق التوائم بطريقة اصطناعية في المخبر عن طريق تقنية تسمى انقسام الجنين، يتم الأمر بأخذ جنين مخصب عندما يكون في طور الخلية الواحدة وتهيئة الظروف التي تمكنه من الانقسام إلى خليتين، ثم يتم فصلهما لتنتج كل خلية جنينا جديدا، وتستخدم هذه التقنية عادة على أجنة الأغنام و الأبقار. (هنري أتلان و آخرون، 2016م، ص ص 18 19.)

الراجح أن الهدف من هذه العملية هو تكثير حيوانات المزرعة للاستفادة منها اقتصاديا، لكن بعض الدراسات أشارت إلى أن هوس العلماء دفعهم إلى تطبيق هذه التقنية على خلايا بشرية، وبالفعل تم

استنساخ عشرات الأجنة البشرية، لكنها لم تزرع في رحم المرأة الحامل لتنمو حتى مرحلة الحمل، لأن نموها بشكل طبيعي كان أمرا مستبعدا.

نستنتج في نهاية هذا التعريف المختصر أن الاستنساخ هو عملية يتم فيها إنتاج نسخة مطابقة جينيا من خلية أو نسيج أو كائن حي، ويطلق على النسخة الجديدة مصطلح مستنسخ.

السياق التاريخي للاستنساخ البشري:

بدأ التمهيد للاستنساخ البشري مع أدبيات الخيال العلمي، حين كتبت الروائية ماري شيلي سنة 1818م رواية فرانكشتاين، الشخصية الرئيسية في هذه الرواية هو طبيب يملك طموحا كبيرا في خلق إنسان بالغ بغض النظر عن سلامته، وعندما ينجح في ذلك يصيبه النفور من ملامح المسخ الذي صنعه ويتمنى موته، ويعيش هذا المخلوق حياة كئيبة داخل المجتمع البشري. (مجموعة مؤلفين، 2013م، ص ص 553 .554)

تنبأت ماري شيلي في هذه الرواية بتقنية الاستنساخ البشري وما سينجر عنها من انعكاسات وعواقب وخيمة على جنس البشر، الدكتور فرانكشتاين يمثل طموح العلماء الحالمين بنسخ الإنسان، أما المسخ الذي صنعه فهو تمثيل لتوقعات الباحثين حول معاناة الإنسان المستنسخ بين الناس الطبيعيين.

ثم جاء كتاب عالم جديد شجاع سنة 1932م للكاتب البريطاني ألدوس هكسلي، ليتحدث عن إمكانية انقسام النطفة لاستنساخ الإنسان، و أشار إلى تقسيم البشر إلى طبقات عليا ودنيا، ومن ثم إعطاء كل طبقة ما يناسبها من حقوق اجتماعية للوصول إلى عالم جديد. (مجموعة مؤلفين، 2013م، ص 554.)

كما تحدث الروائي تشارلز إيريك في روايته عالم بلا رجال، و الكاتب بول أندرسون في كوكب العذارى، عن استنساخ أطفال من النساء فقط دون الحاجة لوجود الرجل المتسلط، وتعيش الأنثى على هذا الكوكب دون الحاجة إلى الذكر، وقالت الأديبة نانسي فريدمان في كتاب

جوشوا ابن لا أحد بإمكانية استنساخ الرئيس جون كينيدي بعد اغتياله. (مجموعة مؤلفين، 2013م، ص 554.)

هذه الروايات والأعمال الأدبية كانت بمثابة العرافة التي تتنبأ بالمستقبل لأن تكهنات هيكسلي و إيريك و نانسي أصبحت اليوم واقعا ملموسا داخل أروقة المخابر، كما أن بعض العلماء لا يكلون و لا يملون في سعيهم للحصول على التراخيص القانونية لاستنساخ أول إنسان كامل.

أهم حدث تجريبي في تاريخ الاستنساخ البشري حدث سنة 1993م عندما حاول العالمين الأمريكيين جيري هول وروبرت ستيلمان تطبيق إحدى تقنيات الاستنساخ على الأجنة البشرية، ونجحا في الحصول على 48 جنينا مجهريا (أميمة خفاجي، 2003م، ص 256.)

وبعد استنساخ النعجة دولي سنة 1996م قدم الطبيب الأمريكي ريشارد سيد أول طلب للحصول على ترخيص قانوني لاستنساخ إنسان كامل، لكن طلبه قوبل بالرفض بسبب عدم وجود ضمانات كافية للسلامة.

الاستنساخ البشري بين الفوائد العلمية و المأزق الأخلاقي:
لماذا يثير الاستنساخ الرعب في نفوسنا؟

تعتبر مسألة الأمان أكبر مشكلة قد تواجه البشرية إذا تم تطبيق تقنيات الاستنساخ على الإنسان، وقد استحوذت هذه المسألة على أغلب التقارير والأبحاث التي كتبت حول الاستنساخ وكانت سببا رئيسيا في التوصية بحضره، من الأمثلة على ذلك تقرير اللجنة الاستشارية الأخلاقية الأمريكية الذي أوصى السلطات الأمريكية بحضر تجريب تقنيات استنساخ البشر، لأن الأجنة المستنسخة قد تعاني من مشاكل كثيرة، أبرزها تشوهات وإعاقات جسدية وعقلية خطيرة.

من الواضح أن هذه المشاكل تظهر لأن الأجنة المستنسخة قد لا تحمل طاقما سليما من الكروموزومات، يحمل الكائن الذي يتكاثر بطريقة طبيعية طاقمين من الكروموزومات في كل خلية من خلاياه، أحدهما يأتي من الأم عن طريق البويضة والآخر من الأب عن طريق الحيوان المنوي، يحتوي كل طاقم على تشكيلة كاملة من الجينات اللازمة للنمو

الطبيعي، نحتاج إلى نسختين فقط من الكروموزومات وإذا وجدت نسخة واحدة أو ثلاث نسخ يختل النمو بشكل حاد. (ريتشارد ليونتين، 2003م، ص 264.)

بعد أن يخصب الحيوان المنوي البويضة في حالة التكاثر الطبيعي يبدأ انقسام الخلايا لتكوين الجنين، تقوم الكروموزومات التي كانت في حالة سكون داخل الحيوان المنوي والبويضة بإنتاج نسخ جديدة تحفزها إشارات من الآلية المعقدة لانقسام الخلايا، يتم انقسام الخلايا وتتضاعف نسخ الكروموزومات بتزامن كامل بحيث تحصل كل خلية جديدة على طاقم كامل ومضبوط منها، تماما كطاقم البويضة المخصبة. (ريتشارد ليونتين، 2003م، ص 265.)

أما في التكاثر بالاستنساخ فتحدث وقائع مختلفة تماما، تُنزع النواة التي تحمل كروموزومات البويضة وتُدمج بدلا منها خلية من المانح وبها طاقم كامل من كروموزوماته، لكن المشكلة تكمن في أن هذه المحددات الوراثية لا تكون دائما في حالة سكون، وبالتالي قد لا تنقسم في تزامن مع الخلايا الجنينية، ستكون النتيجة كروموزومات زائدة وأخرى ناقصة ويصبح الجنين مشوها ليموت في مرحلة معينة من النمو. (ريتشارد ليونتين، 2003م، ص 265.)

حتى ينجح الاستنساخ يجب أن تكون كروموزومات المانح في الحالة الصحيحة، لكن الطريقة الوحيدة للتأكد من ذلك هي التجريب على المستنسخ، حيث نجح ويلموت في استنساخ دولي واحدة بعد مئات التجارب الفاشلة، هذا يعني أن عددا هائلا من أجنة الأغنام ماتت تحت التجريب، وهذا فعل ينتهك جميع المعايير والقيم الأخلاقية الإنسانية.

لنفترض بأننا طبقنا نفس التقنية على البشر، كم من جنين سنقتل قبل أن نحصل على إنسان مستنسخ كامل، وحتى إن نجحنا في الحصول عليه ماهي التشوهات والإعاقات التي يمكن أن نجدها فيه؟ ومن سيتحمل مسؤولية الألم الذي سيعانيه إنسان يحمل هذه الصفات؟

قتل الأجنة البشرية تحت التجريب أمر مرفوض أخلاقيا، والتسبب في إنجاب أطفال يعانون من إعاقات و تشوهات جسدية و عقلية أمر منافي لكل القيم الأخلاقية والإنسانية، لذلك يطالب الباحثون في مجال

البيواتيقا بالتريث والتفكير والتحلي بالوازع الأخلاقي قبل تجريب تقنيات الاستنساخ على البشر.

الهوية المضطربة:

خلق الله الناس وجعلهم مختلفون متمايزون في صفاتهم وسلوكهم وطريقة تفكيرهم...إلخ، وهذا الاختلاف هو ما يحدد طبيعة كل شخص ويميزه عن الآخر، أو بالأحرى يحدد هوية كل فرد من أفراد المجتمع ويمنحه استقلاله الذاتي، لكن ماذا لو أتيحت لنا فرصة عمل نسخ متطابقة من إنسان واحد؟ هل ستعيش هذه النسخ بشكل عادي أم ستعاني من اضطرابات معينة؟

احتمالية وجود نسخ بشرية متعددة ومتطابقة وراثيا واردة جدا، لا يوجد شيء كهذا حتى الآن، أنا على الأقل لم أصادف بحثا يشير إلى أول إنسان مستنسخ حتى تاريخ كتابة هذه الكلمات، لكنه أمر وارد جدا في المستقبل، فبمجرد مرور أشهر قليلة على الإعلان عن ولادة النعجة دولي بتقنية الاستنساخ، اقترح طبيب أمريكي تجريب نفس التقنية على البشر، والسؤال المطروح ماهي الأسباب التي تدفع الناس للتفكير في إنتاج نسخ مطابقة وراثيا لإنسان معين؟

يعتقد عالم البيولوجيا التطورية ريتشارد ليونتين أن رابطة الدم قد تكون سببا مهما لذلك، أي عجز البعض عن الإنجاب بطريقة طبيعية قد يدفعهم إلى اللجوء إلى الاستنساخ لإنجاب أطفال ينتمون إليهم بيولوجيا وربما خوف بعض الآباء من نقل بعض الأمراض الوراثية إلى سلالتهم قد يدفعهم لطلب الاستنساخ، وقد يفكر البعض في طلب الاستنساخ رغبة منهم في إنجاب ذرية بخصائص ذهنية أو شكلية معينة، مثل الذكاء وسرعة الإدراك أو لون معين للعينين أو البشرة...إلخ، وقد يحلم البعض في المستقبل باستنساخ أينشتاين أو نيوتن.

هؤلاء جميعا يفكرون في حدود ضيقة ولا ينتبهون إلى الانعكاسات السلبية عليهم وعلى ذريتهم إذا فكر العلماء بتطبيق الاستنساخ كحل لمشاكلهم، ماذا لو علم الأبناء بعد سن معين بأنهم نسخ طبق الأصل من والديهم أو من أشخاص آخرين؟

نخشى أن يفقدوا هويتهم، سيؤدي إدراكهم بكونهم مستنسخين إلى إحداث تشويش غير محتمل في ذواتهم، سيعانون من خلل نفسي يرتبط بطريقة تصورهم لأنفسهم، إن ما يعكر فكرة الاستنساخ البشري هو قدرة النسخة على تمييز ذاتها، قد يقول قائل حتى النسخة تتمتع بذات، لكن ماهي ذاتها؟ هل هي نموذجها الذي هو نسخة منها؟ هل هو والدها الذي هو توأمها؟ هل هي نفسها التي هي آخر؟ هذا الطمس لمحددات الهوية هو أكبر إشكالية أخلاقية قد يسببها استنساخ الإنسان بعد إشكالية الأمان. (هنري أتلان و آخرون، 2016م، ص ص 106 107.)

سبب آخر قد يدفع الإنسان إلى التفكير في إنتاج نسخ بشرية وهو طبيعة النظام الاقتصادي الذي تقوم عليه المجتمعات الإنسانية، فسوق العمل يطلب كفاءات محددة بدقة لتوظيفها في وظائف معينة، لا أستبعد أن يفكر الإنسان المعاصر الذي يسعى إلى المكاسب المادية بلهفة في الاستنساخ لتكثير الكفاءات المطلوبة في مجالات عمل معينة بهدف زيادة الإنتاج وكسب المزيد من المال.

هذه النسخ ستصاب بشرخ عميق في الهوية، من الطبيعي أن يشعر أي إنسان بالاغتراب عن ذاته إذا عَلم بأنه صُنع كما يصنع أي شيء مادي لتنفيذ غرض معين، إنها أزمة استقلال ذاتي وعذاب نفسي مستديم لأن الإنسان يجب أن يكون غاية في ذاته وليس وسيلة لتحقيق غاية ما، لكن يبدو بأن هذه الحكمة الكانطية أصبحت غير مهمة في زماننا.

كنا نتحدث عن مخاوفنا من استبدال الإنسان بالآلة، تساءلنا كثيرا عن مستقبله في ضل وجود الآلات، عن تعليمه وعمله وحياته، واليوم نتساءل عن مكانة الإنسان الطبيعي في ضل وجود نسخ منه، نتساءل عن علاقتنا بنوع جديد من البشر، لا يختلفون عنا لكنهم أناس بلا هوية بلا ذات وبلا شخصية مستقلة، إن الشرخ الذي سيحدثه الاستنساخ في هوية إنسان المستقبل أكبر بكثير من الاغتراب الذي تحدث عنه الفلاسفة الوجوديون، لأن المشكلة هنا ليست مرتبطة بعلاقتنا بذواتنا أو بعائلاتنا أو بعالمنا الطبيعي، تلك العلاقة الجميلة التي سرقتها منا هواتفنا أو حواسيبنا ...إلخ، بل هي مشكلة أناس بلا ذات مستقلة قد نتسبب نحن في تخليقهم، في هذه الحالة ستكون المعاناة أكبر والألم أفظع.

أنا لا أدعي بأن المستنسخ سيكون نسخة طبق الأصل من النموذج الذي استنسخ منه، ولا أقول بأن حياتهما النفسية والاجتماعية وأفكارهما وسلوكهما...إلخ ستكون متطابقة كليا، هناك علماء كبار في هذا المجال يكذبون ذلك، لكن أتحدث عن ردة فعله عندما يعلم بأنه إنسان غير طبيعي، عندما يعرف بأن شخصا آخر قرر وجوده فقط لأنه كان يريد طفلا ذكيا أو طويلا أو أسمر...إلخ، أو فقط لأنه كان يريد ولدا يشبه سياسيا محنكا أو عالما مرموقا أو نجما مشهورا...إلخ، والطامة الكبرى هي إذا عِلم بأنه وجِد بطلب من أحد أرباب المال لتأدية وظائف محددة كأي شيء مادي أو حيوان مزرعة.

خلاصة القول أن أي إنسان على وجه الأرض، لا يجب أن يعرف بأن صفة ما في ذاته تم تحديدها من طرف شخص آخر بشكل غير طبيعي هذه هي طبيعتنا نريد أن نكون متميزين ومختلفين عن الآخرين، ومن حق أي إنسان أن يتمتع بفردانيته واستقلاله الذاتي، لهذا لا يجب أن تتحول فكرة استنساخ البشر إلى واقع، وليس الاستنساخ فقط بل أي فكرة أو تجربة تسبب الألم لأي كائن حي بحجة تطوير البحث العلمي يجب حضرها.

ممكنات بيولوجية ومستحيلات اجتماعية:

أجريت تجارب كثيرة على الحيوانات ونجح العلماء في استنساخ صور متطابقة من بعض أنواعها، كما أذيع عن النعجة دولي بأنها صورة طبق الأصل من أمها، ونجحت تجارب الاستنساخ على القردة، وهناك تجارب أخرى تجرى في السر على أنواع مختلفة من الحيوانات والطيور، هذا يعني بأن استنساخ الإنسان من الناحية البيولوجية ممكن. (عبد المعز خطاب، بدون سنة، ص 33)

لكن ماذا بعد استنساخ البشر؟ هل ستحافظ المجتمعات البشرية على الروابط الأسرية والاجتماعية التي ميزتها منذ الأزل؟ هل ستعيش النسخ البشرية مع الإنسان الطبيعي حياة اجتماعية عادية؟ ألن تتعرض هذه النسخ لأي مظالم أو انتهاكات؟

نعلم بأن جميع المجتمعات الإنسانية القديمة والحديثة تتميز بروابط اجتماعية تختلف من مجتمع لآخر، ومن دون الأسرة لا يمكن أن نتخيل وجود هذه الروابط بل لا يمكن أن نتخيل وجود المجتمع أصلا

سنتحدث أولا عن رابطتي الأبوة والبنوة التي نعتقد بأنها ستندثر في الكثير من الأسر في عصر النسخ البشرية.
بينا في صفحات سابقة بأن عملية الاستنساخ لا تتطلب اقتران نطفة ببويضة ولا تحتاج إلى رحم الأم الأصلية، يحتاج العالم في هذه العملية إلى بويضة مفرغة من نواتها بغض النظر إن كانت من المرأة التي تطلب النسخة أو من غيرها، وإلى خلية جسدية من المستنسخ بغض النظر إن كان الزوج أو شخص آخر، هناك تنويعات مختلفة من السيناريوهات التي يمكن أن نتوقعها حول كيفية الاستنساخ، لكن ليس هذا بيت القصيد.
بيت القصيد يكمن في الإشكاليات التي يطرحها الفيلسوف، هل يمكن أن نعتبر مانح الخلية أبا حقيقيا لنسخته وهل الأبوة تُختصر في الجانب البيولوجي فقط؟
إذا كان المانح سيغادر المشهد بعد بيع خليته، لا يمكن أن نعتبره أبا لأن الأبوة ليست مجرد نطفة أو خلية، إنها سنوات طويلة يقضيها الأب مع أبنائه يرعاهم فيها ويعلمهم دروس الحياة، هناك سؤال آخر يثير قلقا أكبر، هل نعتبر المستنسخ أبا لنسخته أم توأمها؟ ها قد دخلنا مرة أخرى في دوامة اضطراب محددات الهوية، هذه المرة ليست محددات هوية شخص بل هوية مجتمع برمته.
ماذا عن رابطة الأمومة؟ إفراغ البويضة من نواتها يعني بأن الأم لن تساهم بصفاتها الوراثية، وإذا اختارت دور الرعاية لتنشئة الصغير لا يمكن أن نقول بأن المرأة حصلت على ولد أو بنت، لقد حصلت على دميتها التي كانت تحلم بها فقط، وهذه الدمية لن تحصل على نفس الحنان والعاطفة التي يحصل عليهما الطفل الطبيعي، لأن صاحبتها لم تتكبد عناء الحمل وألم الولادة.
روسيا أجرت تجربة اجتماعية بين أطفال ظلوا في حضانة أمهاتهم حتى كبروا، وآخرون تولت تربيتهم دور الرعاية، كان الأطفال الذين تربو في أسرهم ينبضون بالرحمة والحنان، أما الأطفال الذين تولت دور الرعاية تنشئتهم فكانوا في غاية الوحشية، يخنقون القطط بدل ملاعبتها ويؤذي بعضهم بعضا كالوحوش الكاسرة. (عبد المعز خطاب، بدون سنة، ص 36.)

بالإضافة إلى كل هذا سيؤدي الاستنساخ البشري إلى تأزيم وضعيات لم تغلق ملفاتها بعد مثل العبودية والتمييز العنصري، فنحن نعيش في مجتمعات يعاني فيها الإنسان الطبيعي من التمييز على أساس الدين والعرق واللغة وحتى لون البشرة أحيانا، وكثيرا ما يتنمر الناس على بعضهم البعض بسبب الشكل أو الملبس أو الوضعية الاجتماعية، وهناك أمراض أخرى حديثة مثل الزينوفوبيا أو ما يعرف بكراهية الأجانب.

فكيف ستعيش النسخ البشرية في مجتمعات تحمل هذه الأمراض؟ ماهي الضمانات التي تضمن بأن هذه النسخ لن تعامل بتمييز وتنمر وكراهية؟ وما الذي يضمن بأن الإنسان الطبيعي لن يستعبد نسخته؟ كل هذه الإشكاليات تتطلب فرض رقابة أخلاقية صارمة على أفكار العلماء وأبحاثهم وتجاربهم.

نستنتج بعد هذا الزخم صدق فرضيتنا الأولى والثالثة، فالاستنساخ البشري سيسبب للإنسان أضرارا جسدية ونفسية واجتماعية وخيمة والفلسفة يمكنها أن تبحث في مشكلات من صميم البحث البيولوجي الوراثي عن طريق طرح الإشكاليات الأخلاقية التي تترتب عنه.

الخاتمة:

في الأخير يمكن القول بأن الاستنساخ البشري ستكون له عواقب وخيمة على البشرية، من الناحية الصحية ستنعكس تقنياته سلبا على الصحة العامة من خلال إنتاج أشخاص يعانون من تشوهات جسدية خطيرة وأمراض وراثية مستعصية مثل متلازمة داون، كما أن الهوية المتفردة للبشر ستكون في خطر أيضا، لأن الإنسان المستنسخ سيعاني من أزمات نفسية تمس فردانيته واستقلاله الذاتي، كما أن الروابط الأسرية والاجتماعية مثل رابطة الأبوة والبنوة وغيرها ستواجه خطر الاندثار إذا وصلنا إلى عصر النسخ البشرية، بسبب دوامة محددات الهوية الأسرية والاجتماعية التي يفرضها الاستنساخ البشري.

ربما يفهم البعض الآن لماذا نرفض الحرية المطلقة للبحث العلمي، إن الفلسفة الأخلاقية المعاصرة لا تسعى لتسييج العلم والقضاء على الإبداع والابتكار، فنحن لا نستطيع إنكار الخدمات الرائعة التي

توفرت للإنسان بفضل التقدم العلمي والتقني الذي كان ثمرة مجهودات علماء حاولوا الرقي بالمجتمعات الإنسانية والسير بها نحو الأفضل، لكن من واجبنا أيضا أن نحذر من الجانب المظلم للعلم.

نحن بحاجة إلى استنساخ بعض الأعضاء التي قد يحتاجها الأشخاص الذين فقدوها، وهذا سيكون منجزا مفيدا لمن فقد عينا أو يدا أو كلية...إلخ، كما أننا نثمن الاستنساخ الآمن لبعض النباتات وحيوانات المزرعة لحل مشاكل التغذية، لكننا لسنا في حاجة إلى استنساخ إنسان كامل ليموت في مرحلة ما من مراحل نموه، أو ليعيش في عذاب أبدي مع آلامه الجسدية والنفسية والاجتماعية، من هنا يمكن الإجابة عن إشكاليتنا المطروحة بالقول بأن الفلسفة يمكن أن تعالج معطيات البحث البيولوجي الوراثي بطرح الإشكاليات الأخلاقية التي يفرزها التطور العلمي والتقني لهذا البحث، وتوعية المجتمع العلمي والعادي بهذه الإشكاليات، وبعث الإحساس بالقيم الذي قد يكون الرادع الوحيد لمشاريع بعض العلماء وأحلامهم المجنونة.

المراجع:

- أتلان، هنري، و آخرون، (2016)، الاستنساخ البشري، ط 01، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- بدوي، محمد، (2003)، قاموس أوكسفورد المحيط إنكليزي – عربي، (د.ط)، لبنان، أكديميا.
- خطاب، عبد المعز، (د.س)، الاستنساخ البشري هل هو ضد المشيئة الإلهية؟ (د.ط)، القاهرة، الدار الذهبية للطبع و النشر و التوزيع.
- خفاجي، أميمة، (2003)، أصل الإنسان و سقوط نظرية دارون، ط 01، (د.ب)، مطبعة سجل العرب.
- ليونتين، ريتشارد، (2003)، حلم الجينوم و أوهام أخرى، ط 01، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.
- مجموعة مؤلفين، (2013)، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الإجراء، ط 01، الرباط، دار الأمان.

للإحالة على هذا المقال:

ـ عبد القادر سنوسي محمد، زاوش يمينة، 2024، إشكاليات أخلاقية حول تقنيات الاستنساخ البشري. **المواقف**، المجلد: 20 ، العدد: 01، سبتمبر 2024، ص. ص. 77- 91